سورة يونس

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ هل كان أمر محمد شيئاً عجيباً حتى ينكروا رسالته؟ ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ بشّر المؤمنين بأن لهم منزلةً رفيعة عند الله، لصدقهم وإيمانهم ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ علا فوق العرش علواً يليقُ بجلاله ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يُحيي الخلائق ثم يميتهم، ثم يُحييهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ ليجازي المؤمنين بالعدل ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ويجازي الكفار بشراب من ماءٍ حارٍّ، بلَغ نهايةَ الحرارة ﴿الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ مضيئةً ساطعة كالسراج الوهّاج ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وجعل القمر منيراً بالليل، والشمسُ حرارتُها من ذاتها، ولهذا عبَّر عنها بالضياء، والقمر يستمدُّ نوره من الشمس، ولذلك عبَّر عنه بالنور ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ قدَّر سيره في منازل يسير فيها ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾ لتعلموا عدد السنين والشهور والأيام ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ما خلَق ذلك عبثاً، بل لحكمة عظيمة، وفائدة جليلة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يوضّح للبشر هذه الآيات الكونية ليعرفوا قدرة الله ويؤمنوا بوحدانيته..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ
يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

تنبيه: كان المشركون يقولون: العجبُ أنَّ الله لم يجد رسولاً، يرسله إلى الناس إلَّا يتيم (أبي طالب)!! وهذا من فرط حماقتهم، وسوء نظرهم، وجهلهم بحقيقة النبوة والوحي، وانتقاصهم للرسول بأنه يتيم، وفقير ليس بنقيصة، بل هو مفخرة، فإن أنْفَسَ الدُّر (اليتيمة) فالله سبحانه هو الذي علَّمه، وأدَّبه، وربَّاه، كما قال ﷺ: «أدَّبني ربي فأحسن تأديبي»!

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يعتقدون بلقاء الله أصلاً، لإنكارهم البعث والحساب ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رضوا بهذه الحياة الفانية، عن الآخرة الباقية، فآثروا الخسيس على النفيس ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ سكنوا ومالوا إلى زخارفها ولذائذها ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مسكنهم ومستقرُّهم نار الجحيم ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ يهديهم إلى طريق الجنة بسبب إيمانهم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تجري من تحت قصورهم أنهارُ الجنة بالماء السلسبيل ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم في الجنة التسبيحُ والتقديسُ والتحميد، دون كُلفةٍ ولا مشقة، وفي الحديث «يُلْهمون التسبيح والتحميد كما تُلْهمُون النَّفَس» ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لهلكوا وعُجِّل لهم في الموت ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يغمون عن الحقّ والرشد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ استغاث بنا ﴿ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم المكذبة لرسلها ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ استخلفناكم بعد إهلاكهم، لنرى صنيعكم هل تُصلحون أم تُفسدون؟

توضيحٌ وبيان: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ الآية.

المعنى: لو عجّل الله استجابة دعاء الناس بالشر، كما يعجّل لهم استجابة الدعاء بالخير، لهلكوا وما أُمهلوا طرفة عين، ولكنَّ الله رحيمٌ بالعباد، **قال مجاهد:** هو دعاء الرجل على نفسه، أو ولده إذا غضب عليه، يقول: اللهم أهلكه، اللهم دمّره، فلو استجاب الله دعاءه، فأماته وأهلكه، لبقي الإنسان متحسّراً طوال عمره على ما دعا به عليه.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ ۖ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ ائتنا بكتاب غير هذا القرآن، ليس فيه عيبُ آلهتنا، أو غيرْ بعضَ آياته. قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ ما يصحُّ ولا يستقيم لي أن أغيّر شيئاً من أحكام الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ لا أتّبعُ إلّا ما يوحيه إليّ ربي ﴿وَلَا أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولا أعْلَمكُم اللّهُ به على لساني ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مكثتُ بين أظهركم أربعين سنة تعرفون صدقي وأمانتي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ أفليس لكم عقول تفكّرون بها؟ فمن عاش بينكم هذه المدة الطويلة، ولم تُمْسِكوا عليه كذبة واحدة، كيف يكذب على الله؟ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعبدون أوثاناً لا تضرُّ ولا تنفع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ ويزعمون أنها تشفع لهم، وهذا محضُ الجهل، كيف تشفع لهم وهي جماد، لا تحسُّ ولا تُبصر!؟ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هلّا أتانا محمد بمعجزة من عند ربه، كعصا موسى، وناقة صالح!! ﴿ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فقل لهم: إن أمر الوحي لله وحدَه، ولا يأتي بالآيات والمعجزات، إلّا ربُّ العزة والجلال، وليس أمرها إليَّ حتى أتيكم بما تحبُّون وتقترحون!! وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ فيه إزراءٌ بعقول المشركين، وتقبيح لهم، يقول: لقد مكثتُ بين أظهركم عُمُراً طويلاً، أفليس لكم عقول تدركون بها، أن مثل هذا الكتاب المعجز، لا يمكن أن يكون إلّا من عند الله!! إنهم يعلمون أنه ﷺ ما طالع كتاباً، ولا تتلمذ على أستاذ، ثم جاءهم بهذا الكتاب الذي عجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء، أفلا يكفي هذا دليلاً على صدق رسالته؟

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ۖ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿رَحْمَةً﴾ رخاءً بعد شدّة، وخصباً بعد جدب ﴿مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ استهزاء وتكذيب ﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ اللّهُ أعجلُ عقوبةً، وعذابه أسرعُ مما تتصورون ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في لُجّة البحر ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ جاءتها ريح شديدة عاصفة ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾ وأحاطت بهم أمواج البحر من كل جانب ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أيقنوا بالهلاك ﴿مُّخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دعوا ربهم بصدقٍ وإخلاص، ونسوا آلهتهم المزعومة ﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إن أنقذتنا من هذه الشدائد، لنعبدنّك وحدك ونشكرنّك على نعمائك ﴿يَبْغُونَ﴾ لمّا نجّاهم وخلّصهم من الهلاك، رجعوا إلى الكفر والعصيان، فهم يعرفون ربهم في الشدة، وينسونه في الرخاء ﴿زُخْرُفَهَا﴾ نضارتها وبهجتها ﴿حَصِيدًا﴾ كالنبات المحصود بالمناجل ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأنها لم تكن موجودة عامرة بالزرع.. والتعبيرُ بالزخرف والزينة غايةٌ في الإبداع والبيان، كأن الأرض عروسٌ، تجمّلت بأبهى الحلل ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنة، لأن من يدخلها يسلم من الأحزان، والهموم، والأكدار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي وبالُ بغيكم عائد على أنفسكم، لا تضرُّون به إلا أنفسكم، روى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثٌ هنَّ رواجعُ على أهلها: المكرُ، والبغيُ، والنكثُ»، ثم تلا ﷺ قولَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم..﴾ وتلا ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وتلا ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ..﴾ رواه أبو نُعيم والديلمي.

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

﴿أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ للمؤمنين المحسنين المنزلةُ الحسنى وهي «الجنة» ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ التمتع بالنظر لوجه الله الكريم، كما فسّره النبيُّ ﷺ في رواية مسلم ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ لا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبارٌ وسواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوانٌ وحزن ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ كفروا بالله وعصوا أمره ﴿عَاصِمٍ﴾ ليس لهم من يُنجيهم ويُخلّصهم من عذاب الله ﴿أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ كأنما أُلبست وجوههم من فرط الظلمة والسواد ﴿قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ قِطَعاً من ظلام الليل الحالك ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ نرفّعنا بينهم وقطّعنا أوصال المودة والمحبة، بين العابدين والمعبودين ﴿تَبْلُوا﴾ في ذلك الموقف الرهيب، تُختبرُ كلُّ نفسٍ من النفوس ﴿مَا أَسْلَفَتْ﴾ ما قدّمتْ من خيرٍ أو شر ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ رجعوا إلى ملك الملوك، رب العزة والجلال، المتولّي جزاءَهم بالعدل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ضلّ وغاب عنهم ما كانوا يزعمونه، من شفاعة الآلهة والأوثان.

تمثيل بديع: ١ ـ التعبير بقوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ تصوير رائع في غاية الإبداع والجمال، تمثيلٌ لها بالعروس، إذا تزيّنتْ بالحليّ والثياب، فلبست أزهى الملابس، وتجمّلت بأبهى الحُلَل، كذلك الدنيا تَخدعُ ثم تَصرع، فإذا نزل عليها الغيثُ، تزينت بالأزهار والثمار، ثم جاءها أمرُ الله بالهلاك والدمار.

٢ ـ قولُه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ جاء تفسيرها في حديث رواه مسلم عن رسول الله ﷺ، فسّر ﴿الْحُسْنَى﴾ بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله، قال: "**فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم**" رواه مسلم.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿مَن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ هل من آلهتكم المزعومة من ينشئ الخلق ثم يُعيده ويُحييه؟ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن الحقّ إلى الباطل!! ﴿لَا يَهِدِّىٓ﴾ لا يهتدي إلّا أن يهديه غيرُه، ومرادُه أن أوثانهم لا تهتدي بنفسها، فكيف تَهدي غيرها!! هل يستطيع الأعمى أن يرشد ضالاً إلى الطريق؟ نبّههم على بطلان عبادة الأوثان من وجهين: **الأول**: أنها حجارة صمّاء بكماء، لا تحيي ولا تميت، **الثاني**: أنها لا ترشد ضالاً، ولا تهدي حائراً ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هل يقول الظالمون: اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، ونسبه إلى الله؟ ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ائتوا بسورة من مثل القرآن في الفصاحة والبيان ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ استعينوا بمن شئتم من الإنس والجن ﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾ لم يتبيَّن لهم عاقبةُ ما فيه من الوعيد ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ من قومك من يُصدّق بأن هذا القرآن من عند الرحمن، ومنهم من يُكذّب به ﴿ٱلصُّمَّ﴾ جمع أصمّ وهو الأطرش الذي لا يسمع الكلام ﴿ٱلْعُمْىَ﴾ الذي لا يرى ما حوله، شبّه الكفار بالعُمي وبالصُّمّ لتعاميهم عن الحق، وإعراضهم عنه.

نبّه تعالى بالبرهان الناصع، أن القرآن كلام الرحمن، فإن النبيّ ﷺ رجلٌ أميٌّ بشهادة جميع قومه، جاءهم بهذا الكتاب المبين، وتحدّاهم تحدياً لاذعاً، أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره، وكرّر هذا التحدي، وهم أساطينُ الفصاحة، وملوكُ البيان، فعجزوا وانقطعوا، ورجعوا مدحورين، أفلا يكفي هذا برهاناً على صدق رسالة محمد ﷺ!؟

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يشاهد دلائل نبوّتك ولا يهتدي بها، لأنه كالأعمى ﴿تَهْدِي ٱلْعُمْىَ﴾ هل أنت تقدر على هداية من كان أعمى القلب والبصيرة؟ ﴿سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ كأنهم ما أقاموا في الدنيا إلّا زمناً يسيراً ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً يقول الواحد للآخر: أنتَ أغويتني وأضللتني!! وهو تعارف توبيخ، لا تعارف محبة ومودة ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالحقّ والعدل ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ إن أتاكم عذابُ الله ليلاً وأنتم نائمون ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ما أعظمَ استعجالهم للعذاب!؟ وأيّ شيء ينفعهم إن وقع عليهم العذاب؟ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أبعد أن وقع العذاب صدّقتم به؟ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ على طريق الاستهزاء، فيقولون: أحقٌّ ما تعدنا به من البعث والجزاء؟ ﴿إِى وَرَبِّىٓ﴾ قل لهم: أقسمُ لكم بربي، إنه لحقٌّ لا شكَّ فيه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ لستم معجزين ربكم لأنكم في قبضته وسلطانه، أمره الله أن يُقسم لهم بعظمة الله وجلاله، على أنّ الله سيبعثهم بعد الموت.

الجزء ١١ الحزب ٢٢

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ﴾ ! ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ﴾ جاءت تسليةً للنبي ﷺ عمّا يلقاه من المشركين، من تكذيبٍ وإعراضٍ عن دعوته، وكأنها تقول له: كما أنك لا تقدر أن تخلق للأعمى بصراً، يهتدي به إلى طريقه، ولا تستطيع أن تُسمع الأصم الذي فَقَد سمعه، فكذلك لا تقدر أن تحمل هؤلاء على الإيمان، فلا تحزنْ لتكذيبهم لك!! ويكفيك أنك قدّمتَ لهم ما في وُسْعك من نصحٍ وتذكير.

سورة يونس
ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به ۗ وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب ۚ وقضي بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون ﴿٥٤﴾ ألا إن لله ما في السموات والأرض ۗ ألا إن
وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٥٥﴾ هو يحيي ويميت
وإليه ترجعون ﴿٥٦﴾ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
﴿٥٧﴾ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون ﴿٥٨﴾ قل أرءيتم ما أنزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله
تفترون ﴿٥٩﴾ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيامة ۗ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم
لا يشكرون ﴿٦٠﴾ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرءان
ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون
فيه ۚ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في
السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين ﴿٦١﴾

﴿لَافْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لو كان للكافر ملءُ الأرض من الأموال والكنوز لدفعه فديةً له من عذاب الله، ولكن هيهات!! ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أخفوا الأسف والغمّ عن غيرهم، لئلا يشمتوا بهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ قضى الله بين الخلق بالحقّ والعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُعاقبون إلّا بأعمالهم الإجرامية ﴿جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ تذكرة من ربكم في هذا القرآن العظيم ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ شفاء لها من الجهل والشك والضلال ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ ليفرحوا بنعمة القرآن والإسلام ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ خير من حطام الدنيا الزائل ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ هل أعْلَمكم الله بهذا التحليل والتحريم؟ أم هو مجرد الافتراء والكذب على الله؟ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ في أمر هام من أمورك ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه بالباطل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ لا يغيب عن رب العالمين شيء في الأرض ولا في السماء ﴿كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مسجّل ومسطّر في اللوح المحفوظ، فكيف تخفى عليه أعمال العباد!!

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ قال ابن عباس: (فضلُ الله) القرآنُ (ورحمتُه) الإسلامُ، أي فليفرحوا بنعمة القرآن والإسلام، فهذا خير لهم من جمع حطام الدنيا، فإنّ نعيم الدنيا زائل، وزهرتها فانية، ولو أن المجرم قدّم كلّ ما في الأرض من كنوز، وأموال، فديةً له، ليتخلّص من العذاب لم ينفعه ذلك، وفي الحديث الشريف يقول الله يوم القيامة للكافر: «**أرأيتَ لو كان لكَ ملءُ الأرض ذهباً، أكنتَ تفتدي به من هذا العذاب؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله له: كنتُ قد سألتك ما هو أهونُ، سألتُك أن لا تشركَ بي، فأبيتَ إلّا الشركَ**» رواه البخاري.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أحباب الله الذين يحبُّهم ويحبُّونه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوا في الدنيا، ثم وضّحهم بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ هم المؤمنون المتقون لربهم، فالوليُّ الحقيقيُّ هو: المؤمن المتّقي للّهِ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لهم البشارة السارّة من الله، تبشّرهم الملائكة عند الاحتضار، برضوان الرحمن، وفي الآخرة بدخول الجنان ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا إخلاف لوعده تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ لا تهتمّ ولا تكترث بوعيدهم وتهديدهم ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ فالقوّةُ والغلبةُ للّهِ وحدَه يمنحها من يشاء ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ما ينسبونه إلى الله من الولد ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ هل عندكم حجة وبرهان؟ ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ نمتّعهم قليلاً في الدنيا، ثم مرجعهم إلينا للحساب والجزاء ﴿نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ نحرقهم في نار جهنم، بسبب كفرهم وإجرامهم.

ورد في الحديث الشريف: «**إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياءُ والشهداء يوم القيامة، لقربهم من الله!!**» قال أعرابي: يا رسول الله، انعتهم لنا!! قال: «**هم قوم تحابُّوا في الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابرَ من نور، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِن الناسُ**»، ثم قرأ ﷺ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رواه أحمد والطبري.

﴿كُبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ عظُم وشقّ عليكم ﴿مَقَامِي﴾ طولُ مُكثي وإقامتي بينكم مدة طويلة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وتخويفي لكم من عذاب الله، وعزمتم على قتلي ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدتُ فلا أخاف من تهديدكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا أمركم، وادعوا شركاءكم لكيدي ﴿غُمَّةً﴾ لا يكن أمركم مستوراً بل مكشوفاً مشهوراً ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ امضوا في ما أردتم ولا تمهلوني، قاله لهم ثقةً بنصر الله له ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ جعلنا المؤمنين مع نوح، يخلفون الهالكين بعدهم، وأغرقنا المكذبين بالطوفان ﴿عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ أنظر كيف كانت نهايةُ المكذّبين لرسلهم؟ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ هل جئتنا يا موسى لتصرفنا عن عبادة الآباء والأجداد؟ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة والملك في أرض مصر؟ اتهموا موسى بالسحر والشعوذة، وأنه يريد من وراء دعوته، أن يتملّك عليهم بما جاء به من الخوارق والمعجزات، وهي فريةٌ مكشوفة، وتهمةٌ باطلة، لتنفير الناس من اتّباعه.

تنبيه: قولُ نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دليلٌ واضح قاطع، على أن جميع المرسلين دينُهم واحد، فهم جميعاً يدعون إلى الإسلام، دين أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فالدينُ واحد، والشرائع مختلفة، فافهم هذا رعاك الله.!

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ
آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ
وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ ماهر عالم بفنون السحر ﴿أَلْقُوا﴾ ألقوا حبالكم وعصيّكم ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ يقوّي الله الحقّ بحججه وبراهينه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ظهور الحقّ ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ ما آمن مع موسى إلا نفرٌ قليل من أولاد بني إسرائيل ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ على خوفٍ من فرعون أن يعذّبهم ويصرفهم عن دينهم ﴿لَعَالٍ﴾ مفسدٍ في الأرض متكبّرٍ متجبّرٍ ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الفجور والطغيان ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ﴿أَن تَبَوَّآ﴾ اصنعا واجعلا لبني إسرائيل بيوتاً للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ اجعلوها مصلّى لكم ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أهلك أموالهم وبدّدها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ امنعهم التوبة والإيمان ﴿الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يؤمنوا حتى يبالوا أقسى العذاب وأشدّه!!

تذكير وتبصير: قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الظاهر أن فرعون قد اندحر، وأن موسى قد انتصر، بعد أن ألقى السحرةُ حبالهم وعصيَّهم، فإذا هي أشباهُ الأفاعي والثعابين، فلما ألقى موسى عصاه، ابتلعت جميعَ تلك الحبال، ممّا جعل السحرة يخرُّون ساجدين لله رب العالمين، وأن يرجع فرعون خائباً، يجرُّ أذيال الهزيمة والخيبة، ويتوعّد السحرة بأن يقطع أيديهم وأرجلهم، وقد نفّذ ذلك فيهم، ولم يتراجعوا عن إعلان إيمانهم على رؤوس الأشهاد، فكانوا في أول النهار سَحَرة، وفي آخر النهار شهداء بررَة كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ استجبتُ دعوتكما على آل فرعون ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ اثبتا على عبادة الله وطاعته ﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا تسلكا سبيل الجهلة في الاستعجال. قال الطبري: رُوي أنه مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة ثم أهلك الله فرعون ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ قطعنا ببني إسرائيل بحر السويس ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ لحقهم فرعون بجنوده ظلماً وعدواناً ﴿أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أحاط به الغرقُ وأيقن بالهلاك ﴿آلْآنَ﴾ الآن تُؤمن حين أيقنتَ بالهلاك؟ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ كنتَ من قبلُ فاجراً عاصياً لله؟ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نخرجك من البحر جسداً بلا روح ﴿آيَةً﴾ لتكون عبرةً للطغاة المتجبرين ﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَا وَأَسْكَنَّا ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً مرضياً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ الشاكّين في قدرة الله! والخطابُ ظاهره للرسول، وحقيقتُه للأمة، أي لا تشكُّوا يا معشر المؤمنين في القرآن، فإنه حقٌّ منزل من الرحمن. قال ابن عباس: «لم يشكَّ النبيُّ ﷺ ولم يسأل» فالمراد تحذير الأمة من الشك، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ويستحيل أن يكذِّب الرسول بشيء من آيات القرآن، فالمراد إذاً تحذير الأمة من التكذيب، قال القرطبي: الخطابُ في هاتين الآيتين للنبي ﷺ، والمرادُ غيرهُ من الناس ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ سبقت ووجبت عليهم كلمة العذاب لشقاوتهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ لا يصدِّقون بنبوَّتك ولو جاءتهم البراهين والمعجزات، حتى ينزل بهم عذابُ الله الأليم.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ما آمنت قرية عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ غير قوم يونس ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ لمّا تابوا عن الكفر رفعنا عنهم العذاب المهين المخزي ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أخّرناهم إلى انتهاء آجالهم ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ يجعل عذاب الله وسخطه، على الذين يُهملون عقولهم ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ﴾ ماذا تنفع المعجزات والبراهين الساطعة؟ ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ الإنذارات ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدّقون باللّه ورسله؟ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ ما ينتظر هؤلاء الضالون ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ إلا مثل أيام أسلافهم المهلَكين ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ الذي بيده محياكم ومماتكم ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ استقم على الدين الحقّ، دين الحنيفية السمحة «الإسلام» ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خطاب للأمة في شخص قائدها وعظيمها، وحاشا للرسول المنزّه المعصوم أن يشرك بالله؟! ولكنه على عادة الملوك والعظماء، يخاطبون الكبراء والوزراء، ومرادهم الشعب والأمة ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ لا تعبد غير الله، ولا تشرك به شيئاً، لا صنماً، ولا وثناً، ولا بشراً، ولا حجراً، مما لا ينفع ولا يضرُّ، واعبد ربك وحده.

تنبيه: قال ابن عباس: (كان الرسول ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إلّا من سبقتْ له السعادة في علم الله، ولا يكفر إلا من سبقت عليهم الشقاوة في الذكر الاول) يعني في علم الله.. وعبّر تعالى عن الكفر بالرِّجس ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ وهو القَذَرُ والنَّجسُ، لأن الكفر نجاسة قلبية، أعظمُ من النجاسة الحسية.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

﴿يَمْسَسْكَ﴾ إن مسّك ضرٌّ في نفسك أو أهلك ﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لا يرفع البلاء ولا يكشف الضرَّ إلا الله ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ وإذا أراد الله لك الخير، من نصر، وعزّ، وغنى، فلا يقدر أحدٌ على منعه ﴿جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ جاءكم القرآن العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم ﴿بِوَكِيلٍ﴾ لستُ موكلاً بحفظ أعمالكم ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ اصبر على المشاقّ حتى يفصل الله بينك وبين أعدائك، والآية تسلية للنبي ﷺ مما يلقاه من أذى المشركين السفهاء.

سورة هود

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ نُظمت نظماً محكماً رصيناً ﴿فُصِّلَتْ﴾ وُضحت أحكامها أجمل توضيح ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ من عند إلهٍ حكيم بمصالح العباد، عالم بأخبارهم ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يمتعكم بحياة سعيدة هنيئة، إلى انتهاء أعماركم ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوونها على عداوة الرسول ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بثيابهم ليستخفوا من الله، لئلا يفتضح أمرهم، وهو المطّلع على خفايا سرائرهم وضمائرهم.

سبب النزول: لقد اشتدّت عداوةُ المشركين للرسول ﷺ والمؤمنين، ولقد وصل بهم الحقدُ أنهم كانوا إذا رأوا الرسول ﷺ ثَنَوْا صدورهم، وردُّوا إليه ظهورهم، وغشّوْا وجوههم بثيابهم، كراهةً للقائه، ويظنون أن ذلك يخفى على الله عزّ وجل، ولكنّ الله لهم بالمرصاد، يرقبهم ليلاً ونهاراً، ويعلم أحوالهم سراً وجهاراً، وفيهم نزلت ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ الآية.